Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والبعد : (وما بهذا التشبيه عندي من بأس ، بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم ، وهو قريب من وجه ، بعيد من وجه . . . فهذا التشبيه ان بَعُدَ من وجه ، فقد قَرُب من وجه ، فيغفر هذا لهذا ، ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم)[1] . وظاهر ان ابن الاثير انما يغتفر البعد اذا خالطه شيء من القرب ، والا فهو مذموم . ونحن لا نجد عنده في هذه المسألة لمحة من قبيل لمحته التي انكر فيها على المعنى ان يستخرج من صورة محسوسة ، او شاهد حال متصور كما رأينا[2] فكأنه هنالك مال الى شيء من الدقة واللطف ، ورجع هنا الى القرب والوضوح ، اما الذي يراه ابن الاثير سبب بعد تشبيه ابن تمام (فهو ان الماء مستلذ ، والملام مستكره ، فيحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه)[3] ، ويلاحظ ان ثمة افتراضا مسبقا يجعل الملام مكروها ، فلا يتيح للشاعر ان يرى فيه غير ذلك ، ولا ريب ان هذا حكم خارجي عقلي على شعور داخلي نفسي ، فربما استعذب الشاعر الملام لامر يرجع الى شعور ذاتي جعله يستعذب البكاء ايضا ، ثم آثر عذوبة البكاء على عذوبة الملام . فطلب من الساقي ان يبعد عنه كأس الملام ، ما دام قد رضي بكأس البكاء وقد كان في كل منهما شفاء لما يعانيه من وجد باطني يتأبى على التعليل العقلي المحض ، أجل ربما كان ثمة تمحل ظاهر في مثل قول ابي نواس : بح صوت المال ، ولكن المشكلة هي أن النقاد لم ينكروا مثل هذه الاستعارات من خلال نظرة فنية، وانما فعلوا ذلك غالبا من خلال نظرة عقلية ، فصاغوا قانون الوضوح قيدا يكبل خيال الشاعر ، ويفرض عليه فرضا ان يعبر عن شعوره من خلال تقليد معين ، فالمسألة ليست في المثل وانما في المبدأ الذي قد ينطبق على المثل ، وقد لا ينطبق اذ يمكن

---

(١) المصدر نفسه : ص ١٦٠

(٢) المصدر نفسه : ص ١٢٢ - ١٢٣

(٣) المثل السائر : ص ١٦٠